مسيرة بدأت في عهد رئيس جمهوري، مثل ريغان، هو ريتشارد نيكسون.

المحدّدات والمقاومات الواقعية

ولا يكفي القول إن ردود الفعل، ازاء فوز ريغان، تتعدل وتعتدل بالشكل نفسه، الذي يتوقع به كثيرون أن تتعدل وتعتدل سياسة ريغان في الرئاسة، عما كانت عليه في الانتخابات. اذ من المؤكد أنه اذا كان ريغان ليس محكوما، مائة بالمائة، بما قاله في خطبه الانتخابية، فانه محكوم بها بنسبة أعلى من نسبة سلفه كارتر، أو أي سلف آخر طوال الخمسين عاما الماضية، التي شهدت في البيت الأبيض، رؤساء «ليبراليين». بكلمات أخرى، فان التغيير الذي يمثله مجيء ريغان هو تغيير مقصود ويعبر عن مجمل التغييرات في البنى السياسية الحاكمة في الولايات المتحدة، وفي اتجاهات الرأي العام الاميركي، بشكل يمكن اعتباره التعبير عن «ما بعد مرحلة ما بعد فيتنام». أي التعبير عن تيار التخلص من عقدة فيتنام، وهو التيار الذي بدأت بوادر سيطرته على السياسة الاميركية لا بانتخاب ريغان، بل قبل ذلك في عدد من قرارات ادارة كارتر نفسه، ومنها على سبيل المثال، المحاولة (الفاشلة) للتدخل عسكريا في ايران، لاخراج الرهائن الاميركيين؛ تكوين قوة التدخل السريع، وتركيز قوة أميركية بحرية وجوية في الشرق الأوسط، خاصة في مصر ومنطقة الخليج؛ الامتناع عن رفع معاهدة «سالت ٢»، الحد من الأسلحة الاستراتيجية الى مجلس الشيوخ للتصديق عليها؛ توتير أجواء الانفراج الدولي، باظهار ردود فعل حادة ومبالغ فيها ازاء الدور السوفياتي في أفغانستان، و«الصعوبات» التي فرضت على الاتحاد السوفياتي كنتيجة له...

وهكذا، يمكننا القول، ان بدايات التحول في السياسة الخارجية الاميركية، التي ستنفذها ادارة رونالد ريغان، قد نفذتها قبله ادارة كارتر، وهي نفسها السياسة التي أشاعت جو الحرب الباردة، من جديد، في العلاقات الدولية. وهي أيضا، السياسة التي أظهرت رغبة الولايات المتحدة في لعب دور منفرد في عدد من الأزمات الدولية، وخاصة في الشرق الأوسط، أو على الأقل، ازاحة الاتحاد السوفياتي تماما عن تلك المناطق. وعلينا أن نتذكر، أيضا، أن قرار زيادة الميزانيات العسكرية وميزانيات التسلح، قد سبق صعود ريغان الى الرئاسة.

واذن، فان انتخاب ريغان هو نتيجة تغير حدث فعلا في الولايات المتحدة وسياستها - خاصة الخارجية - وليس السبب المنتظر لاحداث هذا التغير.

لهذا، فان السؤال الذي طرحته الصحافة الاميركية فور فوز ريغان: ماذا سيفعل ريغان كرئيس؟ لا يستمد اجابته - قطعا - من خطب ريغان أو وعوده الانتخابية، لكنه الى جانب هذا، يستمدها من تاريخه وتاريخ مواقفه وأفكاره السياسية في الشؤون الداخلية والخارجية، كما يستمدها من التيارات الفاعلة في الحياة السياسية الأميركية، وهي التيارات التي نجحت في أن تملي على كارتر عددا من القرارات، التي لم تكن منتظرة من رئيس «ليبرالي»، والتي تناقضت تماما مع وعوده الانتخابية قبل أربع سنوات، ونجحت أيضا، بعد انتزاع هذه القرارات منه، في إزاحته عن الرئاسة والمجيء - بالمنطق نفسه - بريغان رئيسا للولايات المتحدة في هذا التوقيت بالذات، وسط هذه الأجواء المتشددة والمحمومة بالذات، الأجواء التي وصفتها مجلة «يو. اس. نيوز» الاميركية، بأنها «تحول شامل نحو اليمين».

هل يستطيع ريغان، مثلا، أن يغير اتجاهه بالنسبة لاستراتيجية الولايات المتحدة في السنوات الاربع القادمة من «السلام من خلال قوة أميركا العسكرية» الى «السلام من خلال التوازن العسكري مع الاتحاد السوفياتي»؟ قد يفرض الواقع الفعلي على ادارة ريغان حقيقة استحالة التفوق استراتيجيا على الاتحاد السوفياتي.. ولكن هل سيؤدي هذا الى تخلي ريغان عن هذا المبدأ، أم أنه سيؤدي الى التشبث به فترة أطول انتظاراً، لفسحة زمنية أطول، لسباق التسلح الاستراتيجي؟

بالمثل، هل ينتظر من ريغان - تحت تأثير الواقعية السياسية التي يعلمه إياها المنصب وممارسة السلطة - أن يتحول من موقف اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية منظمة ارهابية، الى «وقف الاعتراف بها ممثلا للشعب الفلسطيني»؟

لعل الاجابة الأقرب الى الاحتمال هي أن